لانه لما جا توكيدا للخبر سمى قسما وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى فانه
ان كان لاجل المومن فالمومن يصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل
الكفار فلا يفيده واجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم
اذا ارادت ان توكد امرا واجاب ابو القسم القشيري بان الله ذكر القسم
لكمال الحجة وتاكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم
فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله
الا هو والملايكة واولوا العلم وقال قل اي وربي انه لحق وعن بعض الاعراب
انه لما سمع قوله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون فورب السما والارض
انه لحق صاح وقال من ذا الذي اغضب الجليل حتى الجاه الى اليمين ولا يكون
القسم الا باسم معظم وقد اقسم الله تعالى بنفسه في القران في سبعة مواضع
الاية المذكورة وقوله قل اي وربي لتبعثن فوربك لنحشرنهم والشياطين
فوربك لنسالنهم فلا وربك لا يومنون فلا اقسم برب المشارق والمغارب
والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله والتين والزيتون والصافات والشمس والليل
والضحى فلا اقسم بالخنس فان قيل كيف اقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم
بغير الله قلنا اجيب عليه باوجه احدها انه على حذف مضاف اي ورب
التين ورب الشمس وكذا الباقي الثاني ان العرب كانت تعظم هذه الاشيا وتقسم
بها فنزل القران على ما يعرفون الثالث ان الاقسام انما تكون بما يعظمه
المقسم او يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شي فوقه فاقسم تارة بنفسه
وتارة بمصنوعاته لانها تدل على باري وصانع وقال ابن ابي الاصبع
في اسرار الفواتح القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول
يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل واخرج ابن ابي حاتم
عن الحسن قال ان الله يقسم بما شا من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وقال
العلما اقسم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لعمرك ليعرف
الناس عظمته عند الله ومكانته لديه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال
ما خلق الله ولا ذرا ولا برا نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله اقسم بحياة

احد

٢٩٧

احد غيره قال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وقال ابو القاسم القشيري
القسم بالشي لا يخرج عن وجهين اما لفضيلة او لمنفعة فالفضيلة كقوله
وطور سينين وهذا البلد الامين والمنفعة نحو والتين والزيتون وقال غيره
اقسم تعالى بثلاثة اشيا بذاته كالايات السابقة وبفعله نحو والسما وما بناها
والارض وما طحاها ونفس وما سواها وبمفعوله نحو والنجم اذا هوى والطور
وكتاب مسطور والقسم اما ظاهر كالايات السابقة واما مضمر وهو
قسمان قسم دلت عليه اللام نحو لتبلون في اموالكم وقسم دل
عليه المعنى نحو وان منكم الا واردها تقديره والله وقال ابو علي الفارسي
الالفاظ الجارية مجرى القسم ضربان احدهما ما تكون كغيرها من الاخبار
التي ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كقوله ولقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مومنين
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا فيحلفون له كما يحلفون
لكم فهذا ونحوه يجوز ان تكون قسما وان تكون حالا لخلوه من الجواب
والثاني ما يتلقى بجواب القسم كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه واقسموا بالله جهد ايمانهم لين امرتهم ليخرجن وقال غيره اكثر
الاقسام في القران المحذوف الفعل لا تكون الا بالواو فاذا ذكرت البا اتي بالفعل
كقوله واقسموا بالله يحلفون بالله ولا تجد البا مع حذف الفعل ومن ثم كان
خطا من جعل قسما بالله ان الشرك لظلم عظيم بما عهد عندك بحق ان كنت
قلته فقد علمته وقال ابن القيم اعلم انه سبحانه يقسم باموره على اموره
وانما يقسم بنفسه المقدسه الموصوفه بصفاته او باياته المستلزمة لذاته
وصفاته واقسامه ببعض المخلوقات دليل على انه من عظيم اياته فالقسم اما
على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السما والارض انه لحق واما على
جملة طلبية كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا
القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به
تحقيق القسم فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلابد ان يكون
مما يحسن فيه وذلك كالامور الغايبة والخفيه اذا اقسم على ثبوتها فاما الامور

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)